٣ — نموذج من تراجم العلماء

السيد نعمان خير الدين الالوسي

No'man ALousy.

١ — ولادته وحداثته

ولد رحمه الله في بغداد (١٢ المحرم سنة ١٢٥٢هـ) في ارض التعصب الاعمى والجمود الذميم ، تحت سماء الجور والاعتساف ولكنه نشأ بفطارته حي الضمير نير البصيرة وربي على الاداب الاسلامية الفاضلة فشب مسلما عاقلا فاضلا غيورا على مصالح الامة والوطن والدين . ولولا ان يتيح الله له من ينمي فيه قوة الاستعداد ويربي في الجملة ملكة الاستقلال (وهو ابوه الامام ابو الثناء ، وتلميذه العالم السلفي السيد امين الواعظ) لغلبه جمود البيئة ، واستحوذ عليه الخمول وفسد فيه ما وهبه الله من فطرة سليمة وضمير حر ، وضعفت ملكة استقلاله ووهن منه الحزم والعزم ضرورة . على انه مع اجتنابه ذوي العلاقات السارية الفتاكة لم يسلم من العدوى تماما . بل سرى اليه اثرها فظهر في بعض مؤلفاته : « غالية المواعظ . والاصابة في منع النساء من الكتابة » ولكن حسب من نشأ في هذه البلاد في تلك الايام الحالكة فخرا — ان يكون مثل السيد نعمان في استقلاله واعتداله وجرأته على الدعوة ومجاهدة فريق الجمود والتقليد .

٢ — مناصبه

تولى في شبابه بفضله ونبله القضاء في بلاد متعددة وسار فيه سيرة مرضية فحمدت افعاله وحبب الى القلوب . وفيه يقول بعض ادباء (الحلة) يوم تولى قضاءها :

لتصف الشريعة الواردين ... فقد جاءها اليوم (نعمانها)
وقد كان مطروفة عينها ... فنال الشفا فيه انسانها

ثم ترك المناصب خشية ان تشغله عما هو آخذ باتمامه من تأليف ونشر وفي سنة ١٢٩٥هـ قصد مكة المكرمة لاداء فريضة الحج . فمر بطريقه اليها على مصر القاهرة لطبع (روح المعاني) تفسير ابيه الامام فوقف على الحركة العلمية

هناك ... فاتفق له ان اطلع على (فتح البيان) تفسير الامام المصلح الكبير وناشر الوية العلم السيد حسن صديق خان ملك بهوبال — وقد طبع في مصر — فراقه واعجبته اراء صاحبه العلمية والاصلاحية وتمنى ان يتصل به ولو مكاتبة .

فلما وصل مكة طفق يسأل عن الرجل ويبحث عن مؤلفاته فاتيح له رجل خبير باحواله (وهو الفاضل الشيخ احمد بن عيسى النجدي) فزوده بما زاد في اكباره له واعجابه به واشتياقه اليه . وعند قفوله كتب اليه كتابا يستجيزه فيه ويذكر له تعلق قلبه به لقيامه بالدعوة الى مذهب الحق فما كان منه إلّا ان اجاب ملتمسه ثم اتصلت بينهما المراسلة الى ان قطع حبالها الحمام .

٣ — تآليفه

وفي هذه الاثناء كان السيد خيرالدين يؤلف كتابه الجليل : (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) فلما اتمه (في شهر ربيع الاخر سنة ١٢٩٧هـ) قدمه الى خزانته ورغب اليه في نشره فحقق له امنيته واصدر امره بطبعه في دارالطباعة بمصر . ولم يقتصر بتلك الصداقة المتينة على هذه الاستفادة وحدها منه فحسب بل استفاد ايضا ما قوي به على نشر مذهب السلف الصالح في العراق ، وخدمة الادب والعلم بطبع مؤلفاته ومؤلفات ابيه ومؤاساة الفقراء والمساكين كما يؤخذ من كتابه المنشور في مقدمة الجلاء . وفي سنة ١٣٠٠ قصد الاستانة لاعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه الى نصابه ، فمر على سورية وبلاد الاناضول واجتمع بعلماء هاتيك الديار فملك اعجابهم واجاز واجيز حسب العادة المألوفة

فلما وصلها والقى فيها عصا التسيار واجتمع بأولي الامر عرفوا له فضله واحلوه رحيبا وبالغوا في تكريمه . وانعم عليه السلطان عبدالحميد الثاني بمراتب عالية ، واصدر امره باعادة مدرسة مرجان اليه . فآب الى بغداد — بعد ان قضى في الاستانة سنتين — وتصدر للتدريس بعنوان «رئيس المدرسين» ونشر مطوي الفضائل ومكنون العلوم وحصر اوقاته في التدريس والتصنيف فكان يذهب الى المدرسة صباحا ولا يعود الى بيته إلّا مساء . وقد هنأته الشعراء بالعود وارخت توسيعه المدرسة اليه بقصائد عديدة . منها قول السيد شهاب الموصلي من قصيدة :

وافى وعرفانه والعلم عرفه ... الى رجال ذوي علم وعرفان
موظفا قد اتى لكن (بمدرسة) ... قديمة العهد من انشاء (مرجان)
وظيفة قبله كانت لوالده ... بموجب الشرط شرط الواقف الباني(١)
واليوم قد عاد مقبول الجناب الى ... بغداد باليمن مشمولا باحسان
وفي صكوك العلى والعلم ارخه ... سجل تدريس مرجان لنعمان

١٣٠٢

٤ ــ خطابته ووعظه

وقد كان رحمه الله جوزي زمانه في الوعظ وقد بلغ في حسن التذكير والارشاد النهاية فكان في كل سنة يجلس في شهر رمضان للوعظ في احد المساجد الواسعة فيقصد من اطراف البلد حتى يغص المكان بالمستمعين ــ فاتفق له في شهر رمضان سنة ١٣٠٥ه ان استطرد في احد مجالسه ــ والحديث ذوشجون ــ بحث سماع الموتى فذكر ماقاله علماء الحنفية في كتبهم الفقهية من عدم سماع الموتى كلام الاحياء وان من حلف لايكلم زيدا مثلا فكلمه وهو ميت لايحنث وعليه فتوى العلماء وهو المرجح لدى المحققين ــ فقام حشوية بغداد وقعدوا لها وانكروا عليه هذا العزو واثاروا افراد جهلة العوام والمرجفين في مدينة السلام، وكادت تقع فتنة تسود وجه التاريخ ولكنه بدهائه وحلمه سكن ثائرتهم فجمع في اليوم الثاني كل مالديه من كتب فقهاء المذاهب الاربعة وصعد كرسي الوعظ ــ وقد احتشدت الجموع ــ فاعاد البحث وصدع بالبيان ثم اخذ يتناول كتابا كتابا فيتلو نصوص العلماء ثم يرمي بها الى المستمعين ويصرخ : هؤلاء هم علماؤكم فان كنتم في ريب منهم فدونكموهم وناقشوهم الحساب ؛ حتى اذا فرغ نهض واخترق الجموع الثائرة غير وجل ولا هياب فاقبلوا عليه يقبلون يديه ويعتذرون اليه من قيامهم بتحريك المرجفين من فريق المقلدة والجامدين .

ثم الف رسالة لطيفة جمع فيها ما زبره الفقهاء في هذا الباب واسماها : « الايات البينات في عدم سماع الاموات » .

(١) يريد انها مشروطة لاعلم اهل البلد [الكاتب]

وكان منذ صباه شغوفا بالمطالعة وميالا الى جمع الكتب النادرة فوفق لتأليف خزانة حافلة تعد اليوم من اغنى خزائن كتب بغداد واحفلها بالمخطوطات النادرة ثم وقفها على مدرسته وعين لها محافظا يتعهدها رجاء المنفعة بها ابدالدهر وحبا بالذكر الجميل وهو تحت رجام القبر .

وهكذا امضى عمره: امضاه بالدرس والتدريس. بالوعظ والارشاد بالتأليف والنشر . بمجاهدة الباطل وفرق الابتداع بجمع الكتب ووقفها في سبيل العلم.

نعم امضاه صابرا ومحتسبا اجره على الله . حتى اتاه اليقين صبيحة يوم الاربعاء السابع من المحرم سنة ١٣١٧ هـ ودفن في مدرسته في جوار مرقد مرجان تحت القبة مقابل الباب . فرزىء الاصلاح برجله الفذ في العراق وفقد العلم ركن نهضته العظيم . وكان نبأ وفاته شديد الوطأة على اهل الاسلام في الاقطار رحمه الله .

محمد بهجة الاثري

دفع اوهام

Erreurs Redressées

١ — توهم بعض البسطاء السذج ان في صدور مجلتنا «عن» سهر كذا انها « لشهر كذا » والحال «عن» لاتفيد معنى ما توهموه . فمجلتنا تبرز في اول الشهر المذكور اسمه بجانب « عن ».

٢ — وتصور بعض المغفلين ان « اخبار الشهر » تحوي اخبار الشهر الذي اسمه في صدر المجلة . وليس الامر كذلك ؛ فهي تحوي ماوقع في احد شهور السنة مهما كان ذلك الشهر بدون قيد اذ لم نقيد نفسنا به ؛ وكل مرة رأينا خطورة الخبر اوالواقع ومكانه من التاريخ نبدنا يوم الشهر بجانبه.

٣ — وخطر لبعض البلداء — ولعل اصله من الاعاجم والعرق دساس — اننا بذكرنا المرادفات نتوخى ايراد غرائب اللغة. ولو كان في دماغه ذرة عقل لوجد ان تكرير اللفظة الواحدة بالمعنى الواحد مما تأباه الغريزة العربية وتفضل عليه التنقل من لفظ حسن الى حرف انيق تنقل المفردات من فن الى فن انعاشا للنفس. لكن اين لذلك العلج معرفة المفردات الفصحى وهو عنها في موضع قصي !